والمعجبون بالحياد السويسري كثيرون ، ومنهم اهل اليمين اللبناني • وهم يعتقدون ان هذا الحياد مثل اعلى لكل دولة نامية ، ولكل دولة تضم قوميات ومذاهب متعددة • ويبالغ بعضهم فينسب اليه كل المحاسن والميزات والفضائل التي تشتهر بها سويسرا •

وعندما ندقق مليا في الامر نجد **ان الطبقة الاوليغارشية الحاكمة قد افرغت الحياد من مضمونه القانوني الاصيل لتتمكن من استغلاله في سبيل مصالحها** • وهي تردد في كل مناسبة النظرية التي اذاعها مرة Pictet-de-Rochemont وهو دبلوماسي سويسري كان له دور بارز بعد مؤتمر فيينا لعام ١٨١٥ • فقد كان يحاول اقناع الدول الكبرى بضرورة الحفاظ على الحياد السويسري ، معتبرا ان سويسرا قد ارتضت الحياد لخدمة المصلحة الاوروبية • قال : « ان سويسرا لا تلتزم الحياد من اجل نفسها ، بل من اجل الاخرين ، لان وجود دولة حيادية في قلب اوروبة يتجاوب مع المصلحة الخاصة لكل دولة من دول القارة » • وقال في احدى المناسبات للسياسي المشهور مترنيخ : « ان الحياد السويسري هو في مصلحة جميع دول اوروبة » •

غير ان الاديب الفرنسي Chateaubriand (١٧٣٢ ـ ١٧٩٩) كان ، من قبل ، قد اكتشف حقيقة هذا الحياد عندما قال : « ان السويسريين الذين يلتزمون الحياد خلال الثورات الكبرى التي تندلع في الدول المحيطة بهم يغتنون من مصائب غيرهم ويؤسسون مصرفا بفضل الكوارث الانسانية »•

★ ★

ولو عدنا الى المعنى اللغوي لكلمة « محايد » في اللاتينية لالفينا انها تعني « لا هذا ولا ذاك » ، اي ان المحايد « ليس احد الاثنين » • وهذا يدل على ان الحياد عمل سلبي • وبما ان سويسرا كانت تمتنع باستمرار عن اتخاذ اي موقف في الحقل الدولي ، وترفض الافصاح عن اي اتجاه ، وتذهب في بعض الاحيان الى حد انكار حقيقة المنازعات التي تمزق الشعوب ، فان احد مفكريها ، A. Gorz قد اضطر الى التأكيد على ان « سويسرا لا وجود لها » ، بمعنى ان ليس لسويسرا ، في الحقيقة ، وجود دولي محسوس •

ومع ذلك فان حكام سويسرا لا يملون من التطبيل والتهليل لحيادهم ، والحديث عن ضرورته لسلام العالم ، والتركيز على ايجابيته • واذا سئلوا عن ابرز معالم هذه الايجابية اجابوا بانها تتجلى في الوساطة • فهل تمارس سويسرا ، حقا ، هذا الدور ؟